« فتح » وهي التي تمثل مؤسسة نضالية فلسطينية ؟ أيكمن السبب في « توهج عبد الناصر » وعلاقة « فتح » « بحركة الاخوان المسلمين » كما يزعم ايوب ؟

ألا يناقض هذا التعليل الجزء الاول منه الذي اشرنا اليه قبل قليل ؟

إذا كان ايوب في الشق الثاني من ملاحظته الثانية قد اصاب الحقيقة ، فهو قد جانبها في الشق الاول من الملاحظة نفسها .

واذا انتقلنا من حيز التساؤلات السلبية الى حيز النقاش ، فان أول ما يخطر على بال القارىء حين يبدأ في مطالعة هذا الكتاب الجاد هو التساؤل التالي :

ـ ما هي الكيانية الفلسطينية ، وما هو الوعي الذاتي لها ؟ اذ أن الشعيبي يحذر ، منذ البداية ، من أنه « ليس لمفهوم [الكيان الفلسطيني] معنى متفق عليه بين سائر المتعاطين بـه » . ويحاول الشعيبي أن يعطي بعض التعاريف له مباشرة او مداورة عبر صفحات الكتاب كلها . ولا شك في انه اضطر الى ذلك لأن مفهوم الكيان الفلسطيني « لم يحمل المضمون ذاته في مختلف المراحل التي مرت بها القضية الفلسطينية ، منذ أن بدأ شعاراً مبهماً في اواخر الخمسينات وتحول الى تعبير سياسي اكثر وضوحاً في اواسط الستينات وانتهى موازياً لتعبيرات الاستقلال الوطني في السبعينات » ، كما قال الشعيبي في مطلع كتابه .

ملاحظات واستنتاجات

الملاحظة الاولى : لا أعتقد أن الكيان كوجود ووعيه هما شيء واحد : اذ أن الشعور « بالفلسطنة » ـ كما ردد الشعيبي أكثر من مرة ـ كان موجوداً منذ زمن بعيد . لكن وعي هذه « الفلسطنة » وضرورة اقامة كيان خاص بها وحركة تمثلها وترفع البندقية وتطرح الكفاح المسلح من اجل نقل هذه الهوية من حيز الكمون الى حيز الفعل ، اي من حيز الوجود بالقوة الى حيز الوجود بالفعل : هذا الوعي هو الذي انبثق بشكل ساطع بعد هزيمة التيار القومي في حزيران ، تلك الهزيمة التي وفرت للفلسطينيين ظروفاً موضوعية ملائمة ليميزوا أنفسهم ، لا بواسطة الاقليمية الضيقة ، بل باسم الخصوصية المشروعة . وهذا ما مر عليه الشعيبي مروراً عابراً للأسف . فعلاقة التوازن بين القطري ، او بكلمة اخرى الخصوصية القطرية ، وبين العروبة والقومية العربية ، هي علاقة معقدة ودقيقة جداً في آن

فالتيار القومي كان يغالي احياناً ، فيعتبر أن الحديث عن خصوصية سورية او خصوصية عراقية مثلاً ضمن الرؤية القومية الشاملة ، انما هو من قبيل تغييب العروبة والقومية . واذا كان هذا المنطق قابلاً للنقاش واختلاف وجهات النظر ، فان الخصوصية الفلسطينية كانت ضرورة بالغة الاهمية . الا أن لجوء الفلسطينيين الى العروبة والانخراط في مؤسساتها وفصائلها و« عمق الاتجاهات العروبية التي شدت الفلسطينيين بعد التشريد مباشرة الى اشقائهم في حركة التحرر الوطني العربية » جعل نشوء حركة فلسطينية مستقلة مقاتلة امراً اشبه بالمستحيل .

انطلاقاً من هذه الحقيقة فان اجتهاد الشعيبي حول « فتح » وانها كانت ضد التيار في طروحاتها الكيانية ، في وقت كان فيه الحديث عن الوحدة العربية قد بلغ ذورته ، وارجاعه البطء الشديد في نمو الحركة الى هذا السبب ، هو اجتهاد صائب ودقيق .

الملاحظة الثانية : هي أن الشعيبي أرجع أسباب عدم نشوء مجابهة شعبية فلسطينية تعارض الضم الى الاردن الى علل عديدة ، أغفل منها عاملاً اساسياً هو ايمان القوميين العرب الفلسطينيين بضرورة الوحدة العربية بأي ثمن . وموقف كمال ناصر ، في حينه ، وكذلك موقف عبد الله الريماوي ، خير دليل على ذلك . وبالتالي فان ارجاع هذا الضم الى انصراف الاهتمام الفلسطيني الى العمل على وقف التقدم الاسرائيلي ، اكثر منه على مستقبل الاوضاع القانونية للفلسطينيين ، كما يقول الشعيبي في الصفحة ٣٤ ، او لأن الفلسطينيين في ذلك الوقت لم يجابهوا خطوات الضم الاردنية بسبب عدم تجذر الوعي الكياني لديهم ، ولنقص في التجربة السياسية ؛ كل هذه الاسباب تبقى ناقصة اذا لم تقترن بالنزوع العروبي نحو الوحدة

الملاحظة الثالثة : تتلخص في أن فشل وحدة مصر وسوريا وروح الاحباط والخيبة التي انتشرت في صفوف الجماهير العربية عموماً والفلسطينيين خصوصاً ـ وهم الذين كانوا يراهنون على عبد الناصر والحركة القومية العربية ـ سجلت منعطفاً اساسياً في ارتداد الوعي الفلسطيني على ذاته ، حيث أن صدمة الانفصال ، بما نتج عنها من يأس ، حملت المناضلين الفلسطينيين الموزعين في كافة الفصائل